الحياة الاجتماعية في القدس في العصر الفرنجي الصليبي
(1099 - 1187 م/ 492 - 583 هـ)

أ. د سعيد عبدالله جبريل البيشاوي

أستاذ جامعي وباحث مختص بالحروب الصليبية

المقدمة

يُعَـدّ مَوضوع الحياة الاجتماعية في القدس في العصر الفرنجي الصليبي من الموضوعات الصعبة التي لم تَجِد اهتمامًا من قبل الباحثين في الوطن العـربي، ولذلك أعْددتُ بحثًا عن هذه الفترة رغم صعوبـة البحث فيها، وَقَد تطرقت فيه إلى المَجـزرة التي ارتكبها الفرنجة الصليبيون بِحَق المسـلمين في القـدس، ثم تَحدّثت عن الاسـتيطان في المدينة وَتَطرّقتُ إلى النظام القضائي في القدس، وأشرت إلى العناصر السكانية التي شَكَّلَتْ النسيج الاجتماعي. كـما تناولت الوضع الأخلاقي لسـكان المدينة، وتطرقت إلى وضع المرأة خلال السـيطرة الفرنجيـة الصليبية عليها، كما أشرت إلى تأثُّر الفرنجة الصليبيين بالأزياء الشرقية، وتحدثت عـن الأعياد والاحتفالات التـي أقيمت بالقدس خلال وقوعها تَحتَ السـيطرة الفرنجية الصليبيـة، وتطرّقت إلى الحَمامات خلال تلك الفترة، كـما تَحدّثت عن الزواج عند الفرنجة الصليبيين وَعندَ المسـيحيين الوطنيين، وَختَمتُ الدراسة بالحَديث عن الجَوانب الأسرية في القدس أثناء السَيطرة الفرنجية الصليبية على القدس مثل المآتم والتعميد.

لقد استولى الفِرِنجَة الصليبيون على القدس في يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من شهر شعبان عام 492هـ/ الخامس عشر من تموز عام 1099م، بعد أن ارتكبوا مَذبحة رَهيبة ذَهَبَ ضحيتها سكان المدينة، ومن حَضَرَ للدفاع عنها من المَناطق المجاورة.

الاستيطان الفرنجي الصليبي في القدس وقراها

شاركت القوة العسكرية الفرنجية الصليبية في قَتل جميع سكان القدس. ولعل ذلك فتح الباب على مصراعيه أمام المستوطنين الفرنجة الصليبيين للاستقرار والتملك في القدس، وفي ذلك يقول فوشيه الشارتري «وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخل الفرنجة الصليبيون بيوت السكان واستولوا على كل ما وجدوه بها، وَجعلت من يسبق إلى الدخول فقيرًا كان أم غنيًّا يستولي على البيوت، وكان له أن يَحتل المنزل أو القصر ويمتلكه بكل ما فيه كما لو كان مُلكية خاصة له. وهكذا اتفقوا جميعًا على هذا النمط من حقوق الملكية، وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أغنياء (Chartres, 1969, p: 122) وفضلًا عن ذلك اندفع الفرنجة الصليبيون في أنحاء المدينة يستولون وينهبون المنازل المكتظة بكل أنواع الثروات» (بطرس توديبوده، 1998م، ص: 318).

وَثَمَة سؤال يطرح نفسه: هل كان عدد الفرنجة الصليبيين الذين استقروا في القدس كافيًا لسكن جميع أحيائها ومنازلها وشوارعها؟

يبدو من سَير الأحداث، وما ذكره المؤرخون الفرنجة الصليبيون أن العدد لم يكن كافيًا. فوليم الصوري يَقول: «وكان سكان قطرنا قليلي العدد قِلّة مَلحوظة، وَيعيشون في فقر مُدقع، حيث إنهم كانوا أقل من أن يشغلوا شارعًا من شوارعها (William of Tyre, vol. 1, 1943, pp: 507-508) وبطبيعة الأمر، فإن هذا العدد القليل من الفرنجة الصليبيين لم يكن كافيًا لحراسة مداخل المدينة، والدفاع عن أسوارها وأبراجها.

وَتُعَدُّ مُشْكِلة العنصر البشري من أهم المشاكل التي واجهت الفرنجة الصليبيين عند استيطانهم للقدس، ولعل ذلك بسبب عَودةِ جُموعٍ غَفيرة من الغربيين إلى بلادهم بَعْدَ تَحقيق هَدَفِهم بالسيطرة على القدس (William of Tyre, vol. 1, p 408)، يضاف إلى

ذلك مغادرة بعض الأمراء الفرنجة الصليبيين المدينة، والاستقرار في مناطق أخرى خَضَعَتْ للحكم اللاتيني، ومغادرة بَعضهم إلى المدن الساحلية، أو إلى الأرياف (الحياري، 1994م، ص: 49).

وَحاوَلَ الملك الفرنجي الصليبي بلدوين الأول التَّغلب على مُشكِلة النقص الحاد في سكان القدس، فأحضر مسيحيين شرقيين من شرق الأردن، ومنحهم امتيازات خاصة (هانز ماير، 1990، ص: 227).

النظام القضائي في العصر الفرنجي الصليبي

وشَهِدَت مَملَكة بيت المقدس اللاتينية نظامًا قضائيًّا نَقلَه الفرنجة الصليبيون من بلادهم، وبناء على ذلك فقد ظهرت في القدس مجموعة من المحاكم منها:

1) المَحكمة العليا Highcourt، محَكمة الملك Curia regilis، وكانت تُعقد برئاسة الملك، ولم يكن لها مقرٌّ ثابتٌ، وقد عقدت في القدس، وعكا، ونابلس، وكانت تضم مندوبين عن الجاليات التجارية، وعن الهيئات المحاربة، وكان يحضر جلساتها رؤساء الكنائس والأديرة، والبطريرك، ورؤساء الأساقفة والأساقفة، وكبار السادة الإقطاعيين. وأصبحَت بمثابة هيئة تشريعية لابد من موافقتها على أي قانون أو تشريع جديد، وَالفصل فيما ينشأ بين الأمراء من خلافات، وكانت تنظر في قضايا الخيانة العظمى (ستيفن رانسيمان، 1968، جـ2، ص: 481-482).

2) المحاكم الوطنية civil courts: كانت تَختَصُّ بالقضايا المتعلقة بالسكان الوطنيين، إذ سُمح لهم بالتقاضي أمام محاكمهم الوطنية الخاصة بهم، إلى جانب تطبيق القوانين السابقة على قدوم الفرنجة الصليبيين، وكانت تنظر في القضايا الصغرى التي لا تَشمل الجنايات (حسين عطية 2012، ص: 175).

3) محكمة المدينة Cour de la Fonde: وكان يرأسها مُوظَّف فرنجي يدعى بيالي Bailli، يختاره فيكونت المدينة من بين طبقة الفرسان أو الطبقة البرجوازية Burgesses يساعده ستة محلفين Jures، أربعة من السُكان الوطنيين واثنان من الفرنجة الصليبيين،

وكان لِمَحكَمة المدينة سلطان قضائي على جميع الطوائف والفئات المتواجدة في المدينة (يوشــع برافــر، 1981، ص: 131)، ومن خصائصها النظــر في القضايا التجارية، والقضايا البسيطة الخاصة بســكان المدينة على اختلاف طوائفهم (ستيفن رانسيمان، 1968، جـ2، ص: 484).

4) المحكمة البرجوازيــة Court of the Burgesses: وكان فيكونت القدس هو الذي يَتَولّى رئاســتها، يســاعده اثنا عشر مُحلفًا يختارهم من بين أتباعــه اللاتين، وكانت المَحكَمة تَنعقد لمدة ثلاثة أيام في الأســبوع، فيما عدا أيام المواســم والأعياد الدينية، وتنظــر في القضايا التي لم يكن النبلاء طرفًا فيها، وتبحــث في جميع القضايا المتعلقة بالنواحي المدنية، وَللمحكمــة البرجوازية ما للمَحكمة العليا من قوانين وإن كانت في مجموعها تستند إلى العُرف والتقاليد المرعية أكثر من كونها قوانين مدونة (الرحالة المجهولون 2013، ص: 55).

طبقات المجتمع في القدس في العهد الفرنجي الصليبي

1 – الفرنجة الصليبيون الذين حَضروا من غرب أوروبا، وهم أتباع الكنيسة الكاثوليكية وهؤلاء بصورة رئيسة الفِئة الحاكمة في المجتمع الفرنجي الصليبي والقوة المقاتلة الأساس. (يوشع برافر، 2001، ص: 101–107).

2– طبقة البرجوازية Burgesses: وهم من الفلاحين الذين قَدِموا من أوروبا واستوطنوا القدس، ولعبوا دورًا مهمًا في حياة القدس الاقتصادية؛ ليتمكنوا من كَســب معيشتهم، كما كانت لهم مُشارَكة في الخدمات العســكرية. وكانت طبقة البرجوازية تشكل عددًا كبيرًا في القدس، وعملوا فيها كجزارين ونجارين وخياطين وصانعي أحذية وطهاة وصياغ وصانعي خمور وصانعي تروس وأسلحة، وفضلًا عن ذلك عملوا كحلاقين، وبائعي بهارات وعطور (الحويري، محمود، 1979، ص: 80–81).

3– طبقة المُولديــن (الأفراخ) بولاني Pullani: وهم الأبناء المتحَدّرون من زواج مختلط بين الفرنجة الصليبيين والمســيحيين الشرقيين، وليس من شــك في أن الزواج المختلط بين

الفرنجة الصليبيين والوطنيات السوريات كان نادرًا، كما أن زواج النساء الفرنجيات الصليبيات من السوريين كان نادرًا، وقد وصف يعقوب الفيتري المولدين قائلًا «تربّوا على الترف وهم نموذج للنعومة والتخنث، اعتادوا التردد على الحمّامات الشرقية بدلًا من التوجه إلى ساحات المعارك، ولديهم مَيل إلى الرفاهية وارتداء الأثواب الناعمة مثل النساء، كسالى خاملون جبناء» (جاسر، شفيق، 1989، ص: 123-124).

4- رجال الدين اللاتين: حاز هؤلاء على امتيازات واسعة بِما أغْدقه عليهم ملوك بيت المقدس من إقطاعات، إضافة إلى ضريبة العشر التي كانت تُفرض على جميع السكان اللاتين في المملكة، والتبرعات ورسوم الخدمات الكنسية. (الفيتري، 1998، ص: 154 الهامش).

5- التركوبولية: قام الفرنجة الصليبيون بتجنيدهم من المسيحيين الشرقيين، وهم مزيج من الأقليات أو الذين تخلّوا عن ديانتهم وصاروا على نَمَط الخيالة البيزنطيين فيما اتخذوه من سلاح، ونالوه من تدريب (الحويري، محمود، 1979، ص: 88، 95).

6- المسيحيون الشرقيون: عاشوا إلى جانب المسلمين وَتَمَتعوا بِقسطٍ وافر من التسامح الديني. وقد نَظَرَ إليهم اللاتين نَظرة أخرى، وَعَدّوهم منشقين عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية. وكانوا يشكلون المجموعة الأكبر من العناصر غير الأوروبية التي كانت تسكن المدينة، ولكن مكانتهم الاجتماعية كانت الأدنى في السلّم الاجتماعي (عاشور، سعيد، جـ1، 1975، ص: 38-39).

7- طبقة العبيد Serfs والأقنان Slaves: كانت أوضاع العبيد والأقنان قد بَدَأتْ بالتَحَسُّن في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر الميلادي، وَأصبح باستطاعة الكثير منهم أن يَتَحرّروا وَيمارسوا حقوقهم المشروعة في الحياة، لكنهم قاسوا الكثير من الإجحاف والسخرة والظلم بِسَبب تَعسف الفرنجة الصليبيين (Besant and Palmer, 1888, p 226). وقد أصبح الفِرَنجة الصليبيون بحاجة ماسة إلى الأقنان من أجل العمل في الأراضي الزراعية. كما احتاجوهم من أجل الخدمة في المنازل، والمحلات التجارية. وفي المجمل كانوا كالمواشي يخضعون لقانون البيع والشراء (عبد الوهاب، حسن، 1997، ص: 179).

الوضع الأخلاقي للفرنجة الصليبيين في القدس

عانى الفرنجة الصليبيون كثيرًا من الانحلال الأخلاقي داخل مجتمعهم؛ مما كان له أثر سلبي على القوة العسكرية للمملكة في جميع فترات وجودهم. وقد نوقِشَ في المَجْلِس الذي عُقد في نابلس عام 1120م فرض عقوبات على ممارسة الجنس غير الشرعي وتطبيق عقوبات صارمة ضد من يقوم من اللاتين بإقامة علاقات جنسية مع نساء مسلمات. «إذا ثبت أن أحدًا ضاجع امرأة مسلمة برضاها، يُخصى الرجل ويُقطع أنف المرأة» (Mayer. Council of Nablus. C15). وفضلًا عن ذلك فرض مجَلِس نابلس عقوبات على النساء اللاتينيات اللائي مارسن علاقات جنسية مع الرجال المسلمين. إذا رضيت امرأة مسيحية مُمارسة الجِنس مع رجل مسلم، يُطبّق على كليهما عقوبة الزنا، أما إذا اغتصبها عنوة، فهي غير مذنبة، ويُخصى الرجل (Mayer, H.E., Council of Nablus, C17).

ومخافة أن يتذرع المتهمون بهذه الاتهامات وبعدم عِلمهم بالموقف الديني لشريكهم. فقد قرر مجَلِس نابلس أن من يَتشبه من المسلمين بالفرنجة الصليبيين يُتَّخذ عبدًا. (حسن عبد الوهاب، 1997، ص179) وتجدر الإشارة إلى أن قرارات مجَلِس نابلس سَعَت خصيصًا للحدّ من العلاقات الجنسية بين المسيحيين اللاتين والأهالي المحليين الذين ظلوا على ولائهم للإسلام، فالمحظورات استهدفت العلاقات الجنسية على أساس ديني وليس على الأساس العرقي. فاللاتين لاسيما الرجال، كانت لهم الحُرية في الزواج من امرأة سورية أو أرمنية من المسيحيات أو حتى الزواج من المرتدات عن الإسلام، ولكن الزواج من مُسلمة بالفعل كان عرضة لعقوبة صارمة فالديانة إذًا، وليس السلالة أو العرق، كانت الناحية التي أكدت عليها قرارات مجَلِس نابلس (Estoire d, Eracles, 1859, p 60).

ومما أورده لنا المؤرخون من أخبار عن باسكو دي ريفيري Pasque de Rivevri زوجة أحد التجار الفرنجة الصليبيين في مدينة نابلس، فكانت لها علاقة مشينة مع هرقل بطريرك القدس، وأشار تاريخ هرقل إلى أن بطريرك القدس قام بالتأثير على السيدة وَجَعلها تَحضر إليه مرات عدة. وقد حدث هذا الأمر بالفعل، وذهبت إليه في القدس، وَمَكَثَتْ هناك خمسة عشر يومًا أو أكثر، وكان البطريرك قد أخذ المرأة لنفسه، ثم قدّمها للبارون الذي جعلها

في غاية الثراء (Addison, 1842, p 118). وبعد وفاة زوج باسكو أرسَل البطريرك إليها يدعوه (Kedar ,1982 ,pp: 182–183). وَيُلاحظ أن موضوعات الشذوذ الجنسي للكهنة ورجال الدين اللاتين والعلاقات غير الشرعية مع المُحظيات والزواج منهم، كانت من الموضوعات التي أولتها البابوية اهتمامًا مستمرًا على مدار قرن من الزمن (أسامة بن منقذ 1930، ص: 140).

إضافة إلى ذلك لم يكن لدى الفرنجة الصليبيين أي نوع من النخوة والغيرة على أعراضهم، فقد ذَكر أسامة بن منقذ ذلك بقوله: «كان الرَجُل منهم يكون سائرًا هو وَزَوجته في الشارع فيلقاه رجل آخر، يأخذ المرأة وَيعتَزلُ بها وَيتَحَدَث معها، والزوج واقف ناحيةً ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طَوَّلَت عليه خَلاها مع المُتَحدِّثِ ومضى» (أسامة بن منقذ 1930، ص: 135، 141–142)، ويحدّثنا أسامة بن منقذ عن قصة جرت وقائعها في نابلس توضح عدم الغيرة عند الفرنجة الصليبيين وتعكس جانبًا من حياتهم الاجتماعية، وتدور هذه الحادثة حول أحد تجار النبيذ في المدينة الذي رجع إلى بيته، وَوَجَدَ رجلًا مع امرأته في الفراش، فقال له: «أي شيء أدخلك عند امرأتي؟ قال: كنت متعبًا فدَخلت أستريح»، قال: فكيف دَخلت إلى فراشي؟ قال: وَجَدت فراشًا مفروشًا نِمْتُ فيه، قال: والمرأة نائمة معك؟ قال: الفراش لها، هل كُنتُ أقدر أن أمنعها من فراشها؟ قال: وَحَقّ ديني إن عُدت فَعلت كذا تخاصمت أنا وأنت» (أسامة بن منقذ 1930، ص: 136). وليس من شك أن هذه القصة تثير الدهشة والاستغراب عند سماعها؛ لأنها تتنافى مع التعاليم الإسلامية والأخلاق الشرقية التي تتمسك بالفضيلة والشرف. وعن حِيَل زوجات العامة من الفرنجة الصليبيين على أزواجهم كي تَتَمكن من الانحراف الجنسي خارج إطار الزوجية، كان هناك أزواج يسمحون لزوجاتهم بالذهاب إلى الحمّام ثلاث مرات في الأسبوع تَحْتَ حِراسة صارمة ولكن كلما اشتدت صرامة البولانية نحو زوجاتهم زاد العَمل عن طريق آلاف الحيل (أنتوني بردح 1985، ص: 127).

ويُرجع أحد الباحثين العرب الظروف التي دَفَعَت النساء إلى ما قُمنَ به من أعمال فاسِدة بسبب الظروف الاقتصادية (Archer and Kingsford 1914, p 146). ويقول

الرحالة الألماني بورشـــارد من دير جبل صهيون عن ذلك: «وَيَقومون بإيواء الحجاج الذين من نَفس جنسـيتهم بمنازلهم، وهؤلاء الرجال إذا لم يكونوا يعرفون كيف يَعتَنونَ بأنفسهم، فإنهم يَثقونَ بهم، وبالتالي، فإنهم يفقدون خصائصهم وشرفهم. وهم يُربّونَ الأولاد، الذين يُقلّدون جرائـم آبائهم، وهكذا فإن الآباء المسـيئين ينجبون أولادًا أسـوأ منهم، والذين يتحدرون من سـلالتهم أحفاد أكثر حَقارة، وهم يَعيشونَ في الأرض المقدسة بأقدام مُلوثة تدنس المقدسات». (بورشارد، 1995، ص: 171–172).

وبطبيعة الحـال، تأثر الفرنجـة الصليبيون بعادات وتقاليد أهل البلاد وبأسـلوب معيشتهم، لاسيما فيما يتعلق بالطعام والملابس والأثاث، إذ إن الفرنجة الصليبيين تأثروا بسكان البلاد الأصليين في كثير من العادات والتقاليد، وَلَعَلّ أكبر تغيير في عاداتهم كان على مسـتوى صحتهم ونظافتهم، وبدؤوا يذهبون إلى الحَمّامات العامة الموجودة في كل مدينة ومن ضمنها القدس، حيث يَخلع المسـتحم ملابسـه ويضع منشفة حول وسطه، رغم أن بعض الإفرنج كانوا يسـتغنون عن المنشفة، وكانوا يَلبسون في أرجلهم قباقيب (صنادل) (Holmes, 1977, p 23).

أمـا فيما يتعلق بالملابس والأزياء في القدس أثناء السـيطرة الفرنجية الصليبية، فقد تأثر صليبيو القدس الفرنجة بالعادات الشرقية وارتداء الملابس الفاخرة، وأقلعوا عن لباسـهم وَزِيّهم الأوروبي وتَعلقوا بالأزياء الشرقيـة (Archer And Kings Ford 1914, p 146). ولذلك نَراهم يُقبلون على الأقمشـة الموصلية والبغدادية والدمشقية والشرقية بشكل عام، وأخذوا عن العرب إطالة الملابس وَتَحليتها بالجواهر حَسَـبَ مكانة المرء في قومه واختلاف مرتبته بينهم (Conder 1897, pp 179 –178).

وكان لصليبيي القدس –كغيرهم من بنـي جلدتهم– ملابس خاصة بالحرب، وأخرى يرتدونها في أوقات السـلم، وكانت ملابس الحرب عِبارة عن صدرية مزردة Hauberk مع أقمطة الساق Leggings، وحذاء طويل، وكانت الرأس تُغطى بخوذة من الحديد مَخروطية الشـكل بحيث امتدت مقدمتها إلى أسـفل لحماية الأنف، كما امتدت مـن الحاجبين لِحماية

الرقَبَة، وَصُمِّمَت الخَوذة فيما بعد بشكل معين لتغطي الوجه كُله (Holmes, 1977, p 23). أمــا الملابس التي اعتاد اللاتين على ارتدائها في القدس في أوقات الســلم، فكانت تَدُلّ على الثــراء، وكانت تَزداد فَخامة كلما ازدادوا ثراءً، وكانَ الرجل الفرنجي الصليبي يبدأ بارتداء الملابس الداخليــة المصنوعة من الكتان، وكان يَلبس فوقها قميصًــا ذا أكمام طَويلة ضَيقة، وفوقها معطفٌ تميّز بأكمامه المفتوحة، وكان الرجل الفرنجي الصليبي غالباً ما يغطي رأســه بعمامة تقيه حرارة شــمس القدس، وكان يرتدي بطبيعة الحال الأحذية والجوارب (يوشع براور، 2001، ص: 619).

أما ملابس النســاء الفرنجيات الصليبيات اللائي تواجدن في القدس في هذه الأثناء، فقــد كانت أكثر جمالًا، إذ تميّزن بملابســهن ذات الذيول طويلة الأكمام، وكانت نســاء الطبقة الغنية من الفرنجة الصليبيين يَحرِصنَ أشــد الحرص على جَلب الأقمشة والملابس المرصّعة بالجواهر، والمشــغولات الذهبية من المدن الإسلامية، بل إنهن تنافسنَ في ارتداء هذه الملابس وتفاخــرن بها في كل مــكان (Rey, E. G, 1883, pp 100-99). وكانت المرأة الفرنجية في القدس – كغيرها من النســاء الفرنجيات الأخريات- تضع الحجاب على وجهها، لا على ســبيل الوقار والحشمة، بل خوفًا على الطلاء والمساحيق التي كانت تغطّي وجهها (Archer and Kings Ford 1914, p 179). كما كانت النسوة الفرنجيات الصليبيــات الموجودات في القدس حريصات على الاهتمام بملابســهن الحَريريّة، وعلى التحلي بالجواهر، وبمختلف أدوات الزينة.

وبالنسبة لملابس مسيحيي القدس في تلك الفترة، فيبدو أنها كانت تتكون من القمصان والطيالســة، إضافة إلى العمائم والمآزر، كما كان لهم لباس خاص في فصل الشتاء، والمطرف (الثوب) الذي كان يصنع من الخَزّ، أمــا لباس القدم فكان الحذاء أو النعل (اعبيد، 2005، ص: 185). وكان شأنهم في ذلك شأن المسلمين الذين عاشوا بينهم قرونًا طويلة.

وبالنســبة لَملابس المسيحيات المحليات في القدس زمن الســيطرة الفرنجية الصليبية، فيفهم من رواية أوردها يعقوب الفيتري، أنها تشابهت إلى حَد بعيد مع ملابس المسلمات،

فقد ذكر هذا المؤرخ أن السريان أجبروا نساءهم على التدثر بالملابس بحيث لا يمكن رؤيتهن (الفيتري 1998، ص: 109). وبذلك يمكن القول إن ملابس المسيحيات المحليات عادة ما تكون من العصائب الرقيقة، وهي لباس الرأس، والسروال، والغلالة، وهي من المنسوجات الرَقيقة، وَتُلبَس تحت الثياب، كما كان يُلبَس قميصٌ مشقوقٌ عند الرقبة، وفوق الثياب ملاءة فضفاضة تخفي كل أجسادهن (أبو سعيد، ماهر 2007، ص: 295). وكذلك اتخذت هؤلاء السيدات غطاءً للرأس، وكُنَّ يلبسن الخلاخل في أرجلهن، والأساور في معاصمهن وزنودهنّ. (يوشع برافر، 2001، ص: 619). وكانت بعض النساء منهن يَلبِسنَ الخمار أثناء خروجهن من البيت، كما تَعودنَ على التزين بالحلي أثناء ذهابهن لقضاء بعض الأعمال (أنتوني بردج، 1985، ص: 121). ويبدو أن نساء القدس المسيحيات المحليات رفضن استيعاب المؤثرات الفرنجية الصليبية (يوشع برافر 2001، ص: 211).

وعلى الرغم من ذلك، هَدّد أعضاء المَجْلِس الكنسي الذي عُقِدَ في نابلس عام 1120م بفرض عقوبة السجن على كل مسلم يرتدي زيًّا صليبيًّا. إذ لم تكن هناك ضرورة وحاجة لفرض هذا التحريم على الفرنجة الصليبيين من ارتداء الملابس الإسلامية. وجاء هذا الحَظر بِهدف وضع حدّ لأي اختلاط ممكن بين السكان الفرنجة الصليبيين والسكان المحليين. وكان تَورّط الفرنجي الصليبي في ارتداء الملابس المَحَلية الإسلامية يُعَدّ ضربًا من ضروب الفسق والانحلال. وهكذا يمكن القول إن إقرار الفرنجة الصليبيين للأقمشة والملابس الشرقية لا يعني أنهم تَقبّلوا الزيّ الذي كان يرتديه المسلمون المحليون (يوشع برافر 2001، ص: 277-278). وكانت أحذية النساء تطابق في أشكالها وخفتها وفخامتها أحذية الرجال التي يطلق عليها اسم «خفّ» من جلد ملون (ماير، 1973، ص: 129).

وكان في القدس حيٌّ يعرف بحيّ الحلاقين، يقع بالقرب من كنيسة القيامة، يذهب إليه العديد من السكان مرة أو مرتين في الأسبوع، بينما كان يَحلق آخرون عند العاملين في الحمامات العامة (أنتوني بردج، 1985، ص: 121).

الأعياد والاحتفالات الدينية

كانت الأعياد، والاحتفالات الدينية، والمدنية تشكل جانبًا مهمًّا في القدس خلال خضوعها للسيطرة الفرنجية الصليبية، وكان يشارك فيها أعداد غفيرة من السكان، إلى جانب الحجاج الذين كانوا يتوافدون على المدينة للاحتفال بها (يوشع برافر 2001، ص: 211). وكانت هذه الأعياد والاحتفالات تتم في المواقع التاريخية على نحو كان يؤدي إلى إعطاء الحجاج شحنة نَفسية تركت أفضل الأثر في نفوسهم، وكانت الاحتفالات تبدأ من كنيسة القيامة، وتنتهي في موقع الأحداث التي تمَّت فيها مناسبات الأعياد والاحتفالات (يوشع برافر 2001، ص: 211).

وكان من أهم الأعياد عيد بمناسبة السيطرة الفرنجية الصليبية على القدس في الخامس عشر من شهر تموز من كل عام، وكان الفرنجة الصليبيون يحتفلون بهذه المناسبة، وكان البطريرك يَقود موكبًا من كنيسة القيامة إلى قُبة الصخرة، وبعد ذلك كان الموكب يَشُقّ طَريقَه إلى المكان الذي يتواجد فيه قتلى للفرنجة الصليبيين (يوحنا فورزبورغ، 1997، ص: 70-71).

وكان سكان القدس يحتفلون بإحياء ذكرى وفاة الأمير جودفري بوصفه قائدًا للحملة الفرنجية الصليبية التي استولت على القدس، وفي هذه المناسبة كان الفرنجة الصليبيون يقيمون الحفلات، ويردّدون الأغاني الوطنية تمجيدًا لبطولات أسلافهم وما تحقق على أيديهم من انتصارات (الحياري، 1992، ص: 187). وكانوا يَمنحون الصدقات، ويغدقونها على الكنيسة العظمى، كما كان يفعل جودفري وهو على قيد الحياة (الحياري، 1994، ص: 70) ومن الملاحظ أن مثل هذه الأعياد كان من شأنها إثارة الفرنجة الصليبيين وشحذهم؛ نظرًا لأنها كانت تذكّرهم بانتصاراتهم المبكرة التي حققوها على حساب المسلمين في بلاد الشام.

وكان تتويج ملك جديد للمملكة اللاتينية من المناسبات التي حرص الفرنجة الصليبيون على الاحتفال بها في القدس، وكان تتويج الملوك بدءًا ببلدوين الثاني يبدأ في كنيسة القيامة، وبعد إتمام الشعائر الدينية، كان الموكب يتوجه من الكنيسة إلى قصر الملك قرب برج داود،

حيث تقام مأدبة كبيرة لنبلاء وفرسـان المملكة، وكان من واجب البرجوازية أن يعدّوا هذه المأدبة. (Richard, J, vol.1, 1979, p 129). ومن الأعياد التي احتفل بها سـكان القدس أثناء السيطرة الفرنجية الصليبية عيد البشـارة (الأنصاري الدمشقي، 1988، ص: 367). وَيُحتَفَل به في الخامس والعشرين من شـهر مارس/ آذار من كل عام (قاسـم عبده قاسـم 1979، ص: 120). ومن الأعياد التي حَرص سـكان القدس على الاحتفال بها زمن الحكم الفرنجي الصليبي أحد السعف المقدس Palm –Sunday The Holy (ثيودريش، 2003، ص: 61)، وفيه كان المسيحيون يَحْمِلونَ عيدان النخيل وأغصان الزيتون، على أن يرافق أحد كِبار رجال الدين الجماهير ويبارك ما يحمله السكان من عيدان وأغصان، ثم يَقود المحتفلين من سـاحة الصخرة إلى باب أريحا ومن ثم يَجرون عبر هذا الباب إلى وادي جهنم (الحياري، 1992، ص: 69).

وكان الفرنجـة الصليبيون يحتفلون بعيد الغطاس الذي يوافق في السـادس من شـهر كانون الثاني/ يناير من كل عام، وفي هذا العيد يغمس سـكان القدس أولادهم بالماء افتداءً بالسيد المسيح، ويبدو أنه جرت العادة في هذا اليوم أن يَطوف الكهنة على البيوت ويرشونها بالماء المقدس، وتسـمى هذه العادة بالتكريس، كما كان الناس يستحمون في تلك الليلة بماء الينابيع، ويَسـهرون فاتحين الأبواب حتى يمر المسيح –حسـب اعتقادهم– وكانوا في هذه الليلة يُصلـون وَيَضعون الماء على رؤوسـهم. وكان هذا العيد يجلب عـلى القدس الفرح والسرور (ماهر أبو سعيد، 2007، ص: 284).

ومن الأعياد الدينية التي جرت عادة سكان القدس على الاحتفال بها خلال فترة الحكم الفرنجـي الصليبي للمدينة، عيد النار المقدسـة The Holy Fire أو الـضوء المقدس Holy Light، والـذي يرجع بأصوله إلى فترة قديمة وطويلة، وإن كان لم يثبت وجوده قبل القرن التاسـع الميلادي/ الثالث الهجري، وقد اقتبس الفرنجـة الصليبيون هذا الاحتفال وجعلوه في اليوم السابق لعيد الفصح، إذ كان البيزنطيون يحتفلون به قبل الوجود الفرنجي الصليبي، واعتاد المسـيحيون عند اقتراب عيد الفصح تَرَقّب هبوط الضوء المقدس في جميع كنائس الشرق (فتحي عبد العزيز، 2013، ص: 128)، وقد توارث الفرنجة الصليبيون هذا

الاحتفال عن اليونان، وصار عيدًا خاصًّا بالمدينة المقدسة (دانيال الروسي، 2003، ص: 108-112).

وخلال السيطرة الفرنجية الصليبية على القدس احتفل الفرنجة الصليبيون الذين استوطنوا في المدينة بعيد خميس الغسل (خميس العهد) (ثيودريش، 2003، ص: 68)، وذلك قبل الفصح بثلاثة أيام، وكان يتم الاقتداء بالسيد المسيح عندما غسل أقدام حوارييه، واعتاد الفرنجة الصليبيون أداءه في دير القديسة ماري في جبل صهيون، وكان المحتفلون حريصين على تقدمة الفقراء في غسل أقدامهم أولًا؛ وذلك خشية أن يصابوا بالجذام، أو المرض الخبيث في أقدامهم، وفي اعتقادهم أن ذلك يحدث خلال الحفل ذاته (يوشع برافر2001، ص214)، وكما هو مقرر، فإن الاحتفال يبدأ بعظة من البطريرك، ثم رشّ الزيت المبارك، ثم تأتي الأحواض والمناشف، وقد حَملها الرهبان التابعون لكنيسة القيامة، فَيغسلون رؤوس وأقدام الفقراء، ثم يقبّلون أيديهم، وتوزع الملابس والأحذية (ثيودريش، 2003، ص: 78).

وَقد اهتمّ سكان القدس طوال الفترة الفرنجية الصليبية بالاحتفاء بعيد اكتشاف الحربة المقدسة، وقد اختص اللاتين أنفسهم بهذه الاحتفالية التي كانت تقام داخل الكنيسة المقامة على الموقع الذي عُثر فيه على الصليب، (فتحي عبد العزيز، 2013، ص: 130) وكانت جُموع الحجاج المسيحيين يتوافدون على القدس بأعداد كبيرة للمشاركة في إجراءات الاحتفال بهذا العيد، حتى إنه كان من الصعب السير في طرقات المدينة من شدة الزحام (الأنصاري الدمشقي 1988، ص: 369).

وكانت هناك مناسبات احتفالية أخرى، منها الاحتفال بخميس الصعود Ascdnsionday الذي كان يتم الاحتفال به من خلال موكب يمضي من جبل الزيتون بعد الصلاة في كنيسة الضريح المقدس، ويتوجه الموكب إلى الكنيسة المقامة في المكان الذي يعتقد بأن المسيح صعَدَ منه، وتوجد آثار مطبوعة في المكان لقدمي السيد المسيح (يوشع برافر2001، ص: 217).

الحمّامات العامة في القدس أثناء السيطرة الفرنجية الصليبية على المدينة المقدسة

عرف الفرنجة الصليبيون الحمّامات العامة في الشرق، ولم يكن المجتمع الغربي قد استعملها، وعندما استوطن الفرنجة الصليبيون في الشرق العربي سُرعان ما تبنّوا فكرة استخدام الحمّامات العامة وقرّروا استخدامها على نطاق واسع. وليس من الصعب تفهم أن عامة الأوروبيين قد نظروا إلى هذه المنشآت باعتبارها وسائل مُهمة للراحة في صيف الشرق (أدريان، 2010، ص: 275). ولعل الفارق في السلوكيات نحو الاستحمام بين الأوروبيين والمستوطنين الفرنجة الصليبيين قد تم تصويره في فقرة ساخرة ذكرها يعقوب الفيتري عندما قال: إن أبناء الذين عرفوا باسم الأفراخ Pullani قد تربّوا على الرفاهية والنعومة والتخنث، وقد تعودوا على الذهاب إلى الحمامات، وتعودوا على تعاطي المخدرات والحياة الخليعة، يرتدون الملابس والأرواب الناعمة مثل النساء، ويبدون في زينتهم وبشكل جميل (الفيتري، 1998، ص: 105).

وَتَجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد حمّام عام في حي البطريرك في الجانب الغربي من الحي، وإلى الجنوب من المستشفى، ووفقًا لـ«وليم الصوري» فإن شارع حمام البطريرك قد استمد اسمه من الحمام، وقد ذكر الرحالة الألماني ثيودريش وجود عِدّة حمامات في القدس (ثيودريش، 2003، ص: 88).

ويبدو أن القدس كانت قليلة الحمامات في بداية العصر المملوكي، حيث ذَكر ابن فضل العمري أن الأمير تنكز نائب الشام قَد عَمّرَ حَمّامين جَليلين، كانت أحوج شيء إليه، لأنه لم يَكن بها حَمّامات مرضية (مسالك الأمصار، جـ5، ورقة 93 نقلًا عن علي السيد علي، القدس في العهد المملوكي، دار الفكر، القاهرة 1986م، ص: 245).

ويذكر مُجير الدين الحنبلي من هذين الحمّامين الحمام الكائن بباب القطانين أحد أبواب المسجد الأقصى والمعروف بالحمام الجديد، والذي كان من أكبر الحمامات وأتقنها في المدينة، كذلك نراه يذكر من الحمامات حمّام علاء الدين، وهذا الحمام كان واقعًا في أحد شوارع

القدس المسـمى آنذاك بخط مرزبان بجوار بركة ليسـتمد منها الماء اللازم للوافدين عليه، فضلًا عن ذلك يذكر لنا الحمّام المعروف باسـم حمّام البطرك بحـارة النصارى بجوار بركة أخرى. ويقول عن البركتين المذكورتين أنه يحتمل أنهما كانتا بركتي سليمان وعياض (الحنبلي 2009م، ص: 59).

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد في المصادر المعاصرة ولا المصادر المتأخرة أو حتى المراجع الحديثـة التي تحدثت عن الحمّامات في القدس ما يشـير إلى نوع تلك الحمّامات، وهل كانت مثل بقية الحمّامات التي عرفت في الشرق، بعضهـا خاص بالرجال وبعضها الآخر خاص بالنسـاء أو أن بعضها يفتح للرجال قبل الظهر وللنساء بعد ذلك. وأعتقد أنها كانت تفتح أبوابها للرجال خلال أيام معينة وللنسـاء في أيام أخرى محددة. ولا توجد إلا إشارة واحدة لابن شـاهين الظاهري، الذي ذكر أنه يوجد بالقدس كثير مـن الحمّامات (الظاهري، ابن شاهين، 1984، ص: 23).

ولا بد من الإشـارة إلى أنه وُجِدَ في القدس بعض الحمامات التي كانت تستخدم لعلاج بَعض الأمراض، نظرًا لما بها من مياه معدنية، حيث وردت إشـارة لمؤلّف مجهول عن وجود حمّام يسـمى «حمّام الشفا» وهناك اسم آخر له «حمّام الجديد» والذي يبدو أنه كان يقع داخل سوق القطانين بالقرب من الحَرَم الشريف، وَكان يَستَمِد ماءه من تحت الصخرة، وَيُعتقد أن ماءه من عَين سلون لأن طعمها واحد. (رحلة إلى فلسطين والقدس ونابلس والخليل وما في بلاد الشام، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 754 جغرافية، ورقة 66).

وَيمكـن الحصول على صـورة طَيّبة لتلك الحمّامات من خلال الوصـف الذي ذكره لنا الرحالة فيلكس فابري Felx Fabri عن تلك الحَمامات، التي شـاهدها عند زيارته للأرض المقدسـة أواخر القرن الخامس عشر الميلادي والتي جذبت انتباهه؛ لأنها لم تكن معروفة في الغرب الأوروبي فيقول: عندما يدخل الزائر سَيَجد نفسه في حُجرة داخلية من عدة مقاصير، كل مقصورة منها عليها سِـتارة مُخَصَّصَة للمسـتَحمين، وفي داخل هذه المقاصير يَسـتحم الأشـخاص عراة ثم يرتدون ملابسهم بعد الاسـتحمام، وتوجد الفُوط النظيفة الموضوعة

في تلك المقاصير، حيث يَلِفّ الناس أجسادهم بها، وفي وسط الحمّام يوجد رواق مسقوف بين نافورة يخرج منها ماء على هيئة نافورات صغيرة من عمود من الرخام، وحوائط الحمام الداخلية، وعند المغطس، كلها مكسوة بالرخام من أنواع مختلفة. وكان على المشاة داخل الحمّام أن يحترسوا حتى لا تنزلق أقدامهم، أما المغطس فهو مربع الشكل معقود ومطبق بجامات من الزجاج الملون، حيث يدخل الضوء الكافي، ثم هناك حجرة دافئة تلي المغطس لا تجد فيها مواقد أو تشم رائحة دخان، ولكنك تشعر بالحرارة فقط وأسفل منها مستوقد الحَمّام، حيث الفحم الذي كان يوقد فيدفّئ الرخام، كما أن الماء المغلي يجري في قناة تجعل المكان دافئًا، وفي مكان آخر يدخل الماء البارد، كذلك تنوعت حجرات الحمام وتدرجت درجة حرارتها، وتختلف الحمّامات في الأرض المقدسة عنها في مصر من حيث الخواص التي توضع فيها المياه المتدفقة والتي يمكن أن يَجلس فيها المُستحم (Fabri, 1957, pp 32–31). وأعتقد أن ما ذكره صحيح اعتمادًا على أنني دَخلتُ حَمّامات نابلس القديمة وهي على الطراز الذي ذكره فيلكس فابري.

ويمكن القول إن حَمّامات القدس لم تختلف كثيرًا عن الحمامات التي عُرفت بها مصر وغيرها من البلاد التي خضعت لحكم سلاطين المماليك، من حيث أنه كان للحمام باب يؤدي إلى مشلح به بعض الأواوين، والتي كانت بمثابة المصاطب المكسوة بالرخام حتى يستريح طالب الاستحمام، ومن المشلح ينتقل المستحم إلى غرفة دافئة يتمّ فيها نزع ملابسه ويضع حول وسطه فوطة تصل إلى الركبتين، ثم ينتقل إلى الغرفة الرئيسة وغالبًا ما تسمى «بيت الحرارة»، حيث يقوم عامل الحَمّام بتدليك جَسد المستحم وغسله بالماء الساخن الذي يوجد بالمغطس، وبعد الاستحمام يجفّف المستحم جسمه ويزيل البلان الشعر من بعض المواضع إذا لزم الأمر، ثم يَنصَرِف المُستحم إلى الغرفة الأولى، حيث يَقضي بعض الوقت وَيَرتدي مَلابسه، وَقَد يَشرب بَعض المرطبات (عاشور، 1963، ص: 94-95).

ولم يقتصر دَور الحَمّام على الاستحمام، بل امتدّ إلى الحلاقة وإزالة الشعر من بعض أجزاء الجسم (ابن منقذ، أسامة، 1930، ص: 135-136). فضلًا عن أن الحمام كان يُعتبر أحد المراكز الاجتماعية، فالمريض إذا دخل الحَمّام بعد فترة اعتُبر ذلك إعلانًا لشفائه من مرضه

(ابن تغري بردي، جـ2، 1930-1942م، ص: 226-227). كذلك ربما تناقل المستحمون كثيرًا من الأخبار المهمة التي تَمسّ حياتهم اليومية داخل الحَمّام، فضلًا عن أن العريس والعروس يجب على كل منهما أن يدخل الحمام قبل الزفاف، كما اعتادت النساء أن يجتمعن في الحَمّام لتبادل الأخبار أثناء الاستحمام، خاصة فيما يتعلق بأخبارهن وحياتهن اليومية.

وقد اشترطت بعض المصادر كثيرًا من الصفات في القائمين على الخدمة في الحَمّام، منها أن يكون المزيّن رشيقًا بصيرًا بالحلاقة، وتكون الأمواس جديدة قاطعة، ولا يأكل ما يغير نكهته كالبصل والثوم والكراث في يوم نوبته لئلا يتضرر الناس برائحةِ فمه عند الحلاقة (القرشي، ابن الأخوة 1976، ص: 240-244). ولم تصلنا أيّ معلومات عن حَمّامات القدس من حيث تخصيص بعضها للمسلمين أو لأهل الذمة، أم أنها كانت حمامات مشتركة، وخاصة لنساء أهل المدينة بطوائفهم المختلفة، حيث يجتمعن في الحَمّامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات. «أم أن الناس نظرًا لما كان بينهم من تسامح تغاضوا عن هذا، حسبما جرت العادة في عاصمة الدولة» (ابن الحاج، 1902، ص: 27).

أما فيما يتعلق بمظاهر الحياة الاجتماعية الأسرية في القدس في العصر الفرنجي الصليبي، فكانت الأفراح من السّمات البارزة التي اتصفت بها الحياة الاجتماعية في القدس في تلك الفترة، واعتبر الزواج أهمها على الإطلاق، وهناك بعض الإشارات البسيطة عن الزواج بالنسبة للفرنجة الصليبيين، فكثيرًا مما اهتموا بحفلات الزواج، التي كان يُدعى إليها الأقارب والأصدقاء من الرجال والنساء (ابن جبير، 1964، ص: 228). وكان يشترك في إحيائها الموسيقيون بآلاتهم المختلفة، إلى جانب قيام بعضهم بالرقص والغناء والتصفيق وضرب الأكف (الحويري، 1979، ص: 246-247). كما كانوا يجلبون لهذه الاحتفالات المهرجين والحواة، والراقصات من المناطق المجاورة لهم (علي السيد علي، 1979، ص: 75). وكانت العروس تَرتدي أفخر الثياب من الحَرير المُذَهَّب، وقد زَيّنَت رأسها بتاج من الذهب، وكانت تنتقل من بيت أبيها إلى منزل الزوجية، يحيط بها الأقارب والأصدقاء، وهم يلبسون مَلابس بهية، وكانت تَمشي خَلفها النساء من أقرانها، وقد لَبِسنَ ثياب الحرير المذهب، وانتعلن الأخفاف المرصعة بالذهب حاملات زينتهن متعطرات (Holmes, 1977, p 24).

وقد احتفل بذلك الجميع، رجالًا ونسـاءً، والأبواق تُضرب والمزامير، وجميع الآلات، حتى تخرج العروس تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال كأنهما من ذوي أرحامها، وهي في أدب، وهي ترتدي أفخر الملابس، تسـحب أذيال الحريـر المذهب على الهيئة المعهودة من لباسهم، فساروا حتى أدخلوها دار بعلها، وأقاموا يومهم ذلك في وليمة، (ابن جبير، 1964، ص: 278-279) وقد تأذى شعور ابن جبير من رؤية النساء في اختلاط مع الرجال واستعاذ بالله من ذلك (ابن جبير 1964، ص: 278-279).

أما فيما يَتَعلق بزواج المسيحيين الشرقيين في القدس أثناء السيطرة الفرنجية الصليبية، فقد جرت العادة أن يجري على النحـو المعهود في الشرق، فكانت الخطوة الأولى تبدأ بالخطوبة، أي اختيار العروس بوساطة والد العريس أو بعض أقاربه، أو بعض الوسطاء، فإذا تم ذلك، فإنهم كانوا يصفونها له، كذلك لعبت الخاطبة دورًا مهمًّا في اختيار العروس، وبعد ذلك كان غالبًا ما يتصل أهل العريس بأهل العروس (علي السـيد علي، 1986، ص: 269). وكانت أم العريس هـي من تقوم بهذا الدور، ومعها بعض صديقاتهـا، أو بعض قريباتها، أو يقوم أحد القساوسـة مع ما ينوب عن العريس بالتوجه إلى منزل العروس، ويتفق الطرفان على الخطوبة بعد أن يسـأل القسيس المخطوبة عن رأيها في قبول هذا العريس زوجًا لها، وعندما توافق، يقدم لها قطعة من الحلوى مرسـلة من العريـس (محمد كرد علي، 1928، ج6، ص: 293). وبعد ذلك تتم الخطبة، حيث كان العريس يقدّم هدية لمخطوبته، وعادة ما كان يلبس العروسـان الخواتم الذهبية بعد أن يعلن القسيس صيغة الخطبة ثلاث مرات عليهما، بحيث يلمس جبهة كل منهما بتلك الخواتم على شـكل صليب، ثم يدفـع العريس جزءًا من المهر المتفق عليه، أو المهر كله، وعـادة يختلف تبعًا لجمال العروس وعمرها ومكانتها، فإذا كانت صغيرة وجميلة، فيرتفع مَهرهـا، وَكلما كبرت، وقلّ جمالها قَلّ مهرها، وعادة ما كانت تطول فترة الخطبة بقصد اختبار كل طرف للآخر، والتعرّف عليه، ولطالما حرصت كثير من الأسر على حفظ الزواج بين أفرادها وأسرٍ من نفس طبقتها ومكانتها (علي السيد علي 1986، ص: 269-270) وبعد الخطوبة بيوم، أو أكثر تذهب قريبات الخطيب لزيارة الخطيبة، فيقدمن لها بعض الهدايا التي أحيانًا ما كانت على شَـكل مبالغ نقدية، أو حلي من الذهب، وتسمى هذه

الزيارة الشوفة (علي السيد علي، 1986، ص: 270).

وكان أهـل العريس يذهبون إلى بيت العروس للتشـاور، والاتفاق على الموعد المحدد، وإعـداد الترتيبات اللازمة، وبعـد أن يتقرر الأمر، تبدأ الدعوات مـن الطرفين، وتذهب العروس مع بعض صديقاتها، ومعهن الصابون، والطيب والعطور، وتقوم الماشطة بإعداد العروس، وإظهار جمالها، وكذلك يذهب العريس مع بعض أصدقائه من الشـبان إلى الحمّام للأمر نفســه، وبعد ذلك يقوم أهل العريس من النساء بزيارة العروس حاملات لها الثياب بالمشـاعل والأغاني، ومعهن الحنّاء فَيُحَنّيِنَ العروس، ثم يَذهبن بها يوم السـبت إلى الحمّام، وَيقمنَ بمساعدتها في أخذ حمامها، وفي ليلة الأحد تُذبح الذبائح، وَتُعدّ الولائم لليوم التالي، وهو يوم الزفاف، وعادة ما يكون يوم أحد (علي السيد علي، 1986، ص: 270).

وفي يوم الأحد، يرتدي الجميع الملابس الفاخرة، وَيذهب جَمع من الرجال والنســاء من أهل العريس لإحضار العروس، وكثيرًا ما قَدّم العريس للعروس هدية تُسـمى خلعة الأم، وكانت في الغالب عبارة عن عباءة، ثم يضع المدعوون على العروس خمارها وإزارها، وكانت جميع ملابسها بيضاء، وتنتقل العروس بموكبها إلى الكنيسة لتكليلها على يد القساوسة على عريسها، وقد يتم ذلك في بيت العريس أو العروس أيضًا، حيث يمسك كل من العروسين الشـموع الموقدة، ويقرأ القسـيس بعض التراتيل الخاصة بالزواج، كذلك يردد المنشدون بعضًا منها، ثم يوجّه القسـيس بعض الأسـئلة للعروس، وأهلها، ليتأكد من أنها ليسـت مخطوبة لأحد، ويعقب ذلك ترديد بعض الصلوات، ثم يقوم القسـيس بتتويج العروسين، (علي السـيد علي، 1986، ص: 277) وبعد أن تنتهي التراتيل الخاصة يأخذ كأسًا من النبيذ، ويباركهما، ثم يطلب منهما أن يَرتَشف كل منهما ثلاث رشفات، ثم يدور بهما وسط المدعوين مع ترديد بعض الأناشيد الدينية، ثم يباركهما، ويدعو لهما بالسعادة والتوفيق، ومتى تم ذلك خرجوا بهما من الكنيسة إلى البلدة، والناس ترشـقهم بالأزهار، والحلوى، وماء الورد، ثم يتوجه الموكب إلى منزل العريس، حيث تسـتقبل أم العريس العروس بالبخور والزغاريد، وتكثر عبارات التهاني مع عزف الموسيقى والرقص، ويظل الجميع في مرح إلى الهزيع الأول من الليل، حيث تُقَدّم الأطعمة للمدعوين، ثم يعودون للموسـيقى والطرب (علي السـيد

علي، 1986، ص: 277).

ومن الاحتفالات الأخرى التي كانت موجودة، الاحتفال بمولد الأطفال، فقد أشارت إحدى الدراسات الحديثة إلى أن الفرنجة الصليبيين ومنهم من سكن القدس، كانوا يقيمون الولائم في تلك المناسبة، والتي كانت تقام في أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس التي تعقب الولادة (علي السيد علي، 1979، ص: 65).

وفيما يتعلق بمسيحيي القدس المحليين، فقد جرت العادة في هذه الفترة أن تختار كل امرأة قابلة (داية)، ويبدو أنه جرت العادة أيضًا أن يتم الاتفاق معها على أجر معلوم قبل الوضع؛ كي لا يحدث نزاع حول تحديد أجرها بعد الوضع، وكان لها كرسي مخصوص تصحبه معها عند اللزوم، فإذا وضعت الأم مولودها أقبلت عليها النساء يزغردن، ويرفعن أصواتهن بذلك مع ضرب الدفوف، والرقص واللهو واللعب، وعندما كانت الأم تضع مولودًا ذكرًا، تقول لها القابلة محبّة بالمسيح، وإن وضعت أنثى، قالت محبّة بالعذراء، كذلك كانوا يحضرون أحد رجال الدين من القساوسة يوم الولادة ليصلّي على باب المنزل تبرّكًا، وتُعلق للطفل التمائم والتعاويذ، كما كانوا يعلقون له خرزة زرقاء للوقاية من الحسد، ويقومون بِوَضع الكحل في عينيه من يوم ولادته، كما كانوا يلفونه بقماط؛ ليقي جسمه من البرد، أو الاهتزاز (أسعد منصور 1924، 275).

وَيبدو أنه جرت العادة أن تقوم القابلة في الأيام الأولى بتمليح الطفل، إما بغسله بماء الملح أو بوضع الملح الناعم على جسده، وكان المسيحيون المحليون يأتون بأحد رجال الدين في اليوم الثالث من الولادة لمباركته، وكانت القابلة تقوم في الأيام الثلاثة الأولى بدهنه بالزيت المُعَطَّر، ثم يعاد لَفّه في القماط الذي لُفَّ به منذ ولادته، ويستمر ملفوفًا لمدة أربعين يومًا، ثم يُسمح له بارتداء الملابس العادية (أسعد منصور، 1924، ص: 275).

ومن المُرجح أن كثيرًا من الناس قد اعتادوا الاحتفال في الأسبوع الأول لولادة الطفل احتفالًا كبيرًا، حيث كانت أم المولود تلبس الثياب الجديدة الجميلة، وتطوف أنحاء الدار في مَوكب كبير تحيط به الشموع من كل جانب، والقابلة أمامها تحمل المولود، وأمام القابلة

امرأة أخرى تحمل طبقًا به شيء من الملح تنثره في البيت يمينًا وشمالًا، إلى جانب إحراق نوع من البخور المخصّص لهذا الاحتفال، كما كان من المرجح إعداد أنواع معينة من الطعام، التي كانت توزع على الأهل والجيران والمعارف (علي السيد علي، 1986، ص: 271).

ومن الاحتفالات الأسرية الأخرى التي كانت تجري في القدس أثناء الحكم الفرنجي الصليبي، الاحتفال بتعميد الطفل، ولا بدّ من الإشارة إلى أن المصادر والمراجع المتوافرة لم تشر إلى مظاهر الاحتفال بهاتين المناسبتين عند صليبيي ويهود القدس، أما عند المسيحيين المحليين فقد جرت العادة بعد انقضاء أربعين يومًا أن تذهب الأم بطفلها إلى الكنيسة ليصلي أحد رجال الدين على رأسه، في أول الربيع، وعند ظهور الأزهار كانوا يسقونه الزهورات، وهي عصارة بعض الأزهار، وخصوصًا زهر الرمان، ويطعمونه من أول فاكهة، ولاسيما الخيار، أو قطرة من عصير، أو يدهن بها أنفه (علي السيد علي، 1979، ص: 65). وجرت العادة كذلك لديهم بضرورة العماد، أو المعمودية، وذلك بأنهم كانوا يغمسون المولود في ماء معطّر بالرياحين، وألوان الطيب، ويقرؤون عليه من كتابهم، ويزعمون أنه حينئذ ينزل عليه الروح القدس، ويسمّون هذا العمل بالمعمودية، وربما كان التعميد في البيت أو الكنيسة، فالروم الأرثوذكس كانوا يقيمونه في المنازل، أما بقية الطوائف المسيحية الشرقية، فكانت لا تسمح بإقامته في المنازل، وكان المسيحيون الموارنة يعمّدون أطفالهم رشًّا، بينما عَمّدَ المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك أطفالهم تغطيسًا، ولا يجوز اجتماع الأبوين عند التغطيس، بل كان يخرج أحدهما، وقد يقيمون الولائم، وينقطون بهذه المناسبة السعيدة لديهم (علي السيد علي، 1979، ص: 65، 140).

وهناك مناسبات حزينة درج سكان القدس على القيام بها، ففيما يخصّ المآتم التي سادت في القدس أثناء السيطرة الفرنجية الصليبية، فقد تباينت هي الأخرى بين العناصر السكانية المختلفة في القدس، فبالنسبة للفرنجة الصليبيين نجد أنهم كانوا يكثرون الحزن عندما يموت أحدهم، وكانت السمة الغالبة على جنائزهم البكاء والعويل، كما اعتادوا على جَلب الندابات فيها على النحو الذي كان معروفا في الشرق الإسلامي (علي السيد علي 1979 ص: 140، 272). ومن المرجح أنهن كُنّ ينتمين إلى النساء الوطنيات، هذا إلى جانب ما ألفوه من إشعال

النيران حزنًا على وفاة أحد كبرائهم (ستيفن رانسيمان، 1968، ج2، ص: 172). كما جرت العادة لديهم إذا مات كبير عندهم، فإنهم كانوا يقومون بتحنيط جثته قبل دفنها، ومن أمثلة ذلك ما حدث عندما مات الملك بلدوين الأول Baldwin 1، والذي كانت وفاته بسبخة البردويل «فقفشقوه، وصبّروه ورموا حشوته هناك» (علي السيد علي 1979، ص: 149). وكان الفرنجة الصليبيون يحرصون على دفن الملوك والنبلاء، والأساقفة في سراديب خاصة تحت الكنائس، كما حدث عند دفن ملوك بيت المقدس الأوائل: جودفري وبلدوين الأول Baldwin1 وبلدوين الثاني Baldwin 2، وفولك الأنجوي Fulk of Anjo، وعموري الأول Amalridc1 (ماهر أبو سعيد، 2007، ص: 270). أما عامة الفرنجة الصليبيين في القدس، فقد خُصِّص لدفنهم ثلاثة مدافن، أحدها قرب كنيسة القديس ستيفن شمالي بوابة دمشق، والمدفن الثاني فوق جبل صهيون غير بعيد عن مدرسة الأسقف جوبات Jopath، والثالث في حقل الدم (ماهر أبو سعيد 2007، ص: 270). أما فيما يتعلق بموتى الحجاج المسيحيين، فقد كان يتم دفنهم في مقبرة حقل الدم، وقد أورد الإدريسي بشأن ذلك «إنه جنوب عين السلوان، وكان يدفن فيه الغرباء، وقد اشترى السيد تلك الأرض، وبقربها بيوت كثيرة منقورة في الصخر، وفيها رجال حبسوا أنفسهم بها للعبادة» (الإدريسي، 1891، ص: 363).

وقد وضع صليبيو القدس موتاهم في توابيت صُنعت من الخشب أو الرصاص، وقاموا بِدفنهم في قبور صخرية، وكان الأشخاص العاديون يُدفنون ورؤوسهم تجاه الغرب، بينما يرقد القساوسة ورؤوسهم تجاه الشرق، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه عند البعث يجب أن تنهض جماعة المصلين ووجوههم تجاه الشرق، وتكون وجوه رجال الدين متجهة صوب جماعة المصلين؛ وفقًا للعقيدة المسيحية، وكانوا يعتنون عند موت أحدهم بكتابة بعض المراثي، التي عادة ما كانت من الشعر وباللغة اللاتينية، يذكرون فيها اسم الميت، بدليل أنه قد وُجد من آثارهم شواهد كُتبت على صفائح من الرخام بالقلم الحجري الجميل، مما يدل على أن المقبور هناك كان من مطارنة الفرنج، وكانت الكتابة عبارة عن أربعة أشعار باللغة اللاتينية، أما اسم المقبور، فكان يشار إليه دون التصريح باسمه (Benevnisti, 1976, p 31).

أما عن أبرز مظاهر المآتم التي تميز بها مسيحيو مدينة القدس المحليون، فقد بالغوا في إظهار أحزانهم على موتاهم، فإذا مات شخص منهم، ملؤوا الدنيا نحيبًا وعويلًا، وكان أهل الميت وأصحابه يأتون إلى منزله عقب الوفاة مرتدين الملابس السوداء إظهارًا للحزن، أما النساء فكنّ يبالغن في إظهار الحزن، وكان الحزن يَشتَدّ حَسب مقام المتوفي عند ذويه (Less, 1905, pp 129-128). وكان وَجه المتوفي يوجّه نحو الشرق، ويغمض أحدهم عينيه، ويغلق فمه، ويربط منديلًا تحت ذقنه إلى رأسه، وتوضع جثته على شيء مرتفع، أما إذا كان المتوفي من رجال الدين، فكان لا يجوز الندب عليه، أو العويل على رأسه، ولا تستلقي جثة أحدهم، على كرسي، وعليها الثوب الديني، ويوضع الصليب في اليد اليمنى للمتوفي، ويربط، فيأتي المُعزّون، ويقبّلون الصليب، ثم يد المتوفي، كما توضع الجثة في الكنيسة، لا في البيت، عكس باقي الأفراد العلمانيين، وتظل الجثة في المنزل، حيث يحضر أحد القساوسة، ويقوم بتبخير جسم الميت، ثم يحمل في صندوق إلى الكنيسة، حيث تتم بعض الطقوس الدينية، وترتّل بعض الصلوات الخاصة، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم، يسمح للأصدقاء بأن يقوموا بتقبيل المتوفي قبلة الوداع (علي السيد علي، 1979، ص: 147). ثم يُحمل الميت موضوعًا في تابوت، ويتقدم الكهنة الجثة في حِلَلهم الكهنوتية، وأمامهم الصليب، وينشدون ترانيم معلومة، وخلفهم النعش مزدانًا بالأيقونات، وحملة الصلبان والشموع، وأربعة من كبار الطائفة يمسكون من أطرافه الأربعة بسقائف من الحرير الأسود، وأقرباء المتوفي محدقون به، وآهات البكاء والندب والمناداة تقاطع أصوات المترنمين (محمد كرد علي، 1928، جـ6، ص: 285، 296). وأخيرًا يَصُبّ أحد رجال الدين على الجثة، وقبل وضعها في القبر من زيت القنديل الموقد في الكنيسة على شكل صليب، كما كان يُذرى عليها حفنة من تراب بعد تلاوة الصلوات، ويُبخر بالمبخرة، وقد تتلى وصية الميت على المقبرة، أو في البيت قرب الجثة أو في الكنيسة، وبعد الدفن يصطف الرجال من ذوي الميت على باب المقبرة حسب مراتبهم، ويمرّ بهم المعزون فردًا فردًا يصافحونهم، ويعزّونهم بالعبارات المتعارف عليها، وفي اليوم الثالث يعملون في الكنيسة صلاة تسمى صلاة الجنازة، وكانوا يحسنون فيها إلى الفقراء ببعض المأكولات، والنقود، وهذه الصلاة يعيدها بعضهم في اليوم التاسع، وفي

يوم الأربعين، وفي نصف السنة، وفي تمام السنة، (محمد كرد على 1928، جـ6، ص: 296). وفي تلك الأيام يقوم أهل الميت بسلق القمح، ووضعه في أطباق، أو صوان مع الزبيب والحلوى ويحملونه إلى الكنيسة، فيصلّي الكاهن عليها في آخر القداس، وتُسمّى النياحة، وتفرق على الناس، فيترحمون على الميت، كما يُقَدّمونَ الشموع للكنيسة، والزيت لإسراج قناديلها، وتخرج النساء إلى القبر للبكاء على الميت، ويعدن إلى بيته بالندب والعويل، ولا يحلق الرجال مدة تقارب الأربعين يومًا، ثم يأتي أصدقاؤهم، ومعهم الحلاق، فيحلق لهم، ولا تبدل النساء ثيابهن، ولا يغسلن أو يغتسلن وقد لا يغسلن وجوههن لمدة أربعين يومًا، ثم تأتي الصديقات إليهن، وبعد إلحاح يغتسلن، ويبدّلن ثيابهن، وكان من عاداتهم في الحداد أيضًا أن يمتنعوا عن تناول بعض المأكولات، وخصوصًا ما كان يفضله المتوفي في حياته الدنيوية (أسعد منصور، 1924، ص: 281).

وَتَجْدر الإشارة إلى أنه جَرَتْ العادة عند مسيحيي القدس المحليين بأن تقام الولائم الخاصة بالموت، وَيبدو أنها اختلفت من مَنطقة لأخرى، ومن مكان لآخر، فأحيانًا كانوا يقدمون الطعام لأهل الميت رجالًا ونساءً، ولا يتركونهم يأكلون في بيوتهم إلا بعد مرور يومين فأكثر على وَفاة فقيدهم، أو يذهب الرجال من أهل المتوفي إلى مَنزل أحد الأصدقاء لتناول الطعام في الأيام الأولى من الحزن، كما يُرسل الطعام إلى النساء في منزل المتوفي، وجرت العادة أن يكون عدد الأرغفة مفردًا، وكانت الولائم تقام لإطعام رجال الدين والمدعوين على نَفقة الجيران، بحيث يدعون جماعة إلى البيوت للقيام بواجبهم، أو قد يقيم أهل الميت أنفسهم الولائم بهذه المناسبة (علي السيد علي، 1979، ص: 149).

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية والمعربة

1) ابن تغري، بردي. (1930– 1942). **منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والأشـــهر**. أربعة أجزاء. نشر كاليفورنيا: وليامبوبر.

2) ابن جبير (ت614هـ/ 1217م). (1964). **رحلة ابن جبير المسماة تذكرة الأخبار في اتفاقية الأسفار**. بيروت: دار صادر.

3) ابـــن الحاج (ت737هــــ/ 1336م) أبو عبد الله محمد بن محمد العبـــدري الفاسي المالكي. (1902). **المدخل إلى الشرع الشريف**. ثلاثة أجزاء. القاهرة: المطبعة العامرة الشرقية.

4) أبو ســـعيد، ماهر محمد. (2007). **مدينة القدس تحت حكم اللاتين**. رســـالة دكتوراه غير منشورة. جامعة الإسكندرية.

5) الإدريسي. (1891). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. ليدن.

6) أسامة بن منقد (ت 584هـ/ 1188م). أسامة بن مرشد الكناني الشيزري. (1981). كتاب **الاعتبار**. تحقيق: فيليب حتى. بيروت. نقلًا عن طبعة برنستون (1930).

7) اعبيد، وائل عبـــد الرحيم. (2005). **القدس في العهدين الفاطمـــي والأيوبي**. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

8) برافر، يوشع. (2001). **الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس الصليبية)**. ترجمة: عبد الحافظ البنا. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

9) برافر، يوشع. (1981). **عالم الصليبيين**. ترجمة: قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن. القاهرة: دار المعارف.

10) بردج، أنتوني. (1985). **تاريخ الحروب الصليبية**. ترجمة: أحمد ســـبانو ونبيل الجيرودي، دمشـــق: دار قتيبة.

11) بورشارد. (1995). **من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة**. ترجمة: سعيد البيشاوي. عمان: دار الشروق.

12) توديبوده، بطرس. (1998). **تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس**. ترجمة: حســـين عطية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

13) ثيودريش، فورزبورغ. (2003). وصف الأماكن المقدســـة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش القرن الثاني عشر الميلادي– الســـادس الهجري. ترجمة: سعيد البيشاوي ورياض شاهين. رام الله:

دار الشروق للنشر والتوزيع.

14) جاسر، شـفيق. (1989). القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها (1099-1244م/ 492- 642هـ). المدينة المنورة: مكتبة الدار.

15) الحياري، مصطفى. (1994). **القدس زمن الفاطميين والفرنجة**، عمان: مكتبة عمان.

16) الحويري، محمود. (1979). **الأوضاع الحضارية في بلاد الشـام في القرنين الثاني والثالث عشر من الميلاد**. القاهرة: دار المعارف.

17) الحياري، مصطفـى. (1992). **القدس تحت حكـم الصليبيـين 1099-1187م**. في «القدس في التاريخ». ترجمة وتحرير: الدكتور كامل العسـلي. عمان: منشـورات الجامعة الأردنية. ص: 165-202.

18) رانسـيمان، سـتيفن. (1967- 1968). تاريخ الحملات الصليبية. ترجمة: السيد الباز العريني. 3 أجزاء. بيروت: دار ثقافة للنشر والتوزيع.

19) الرحالة المجهولون. (2013). وصف الأرض المقدسة. ترجمة: الدكتور جلال حسني سلامة. رام الله: دار الشيماء.

20) الروسي، دانيال. (2003). **وصف الأرض المقدسة 1106- 1207م**. ترجمة: سعيد البيشاوي وداود إسماعيل أبو هدبة. عمان ورام الله: دار الشروق.

21) عاشـور، سـعيد. (1975-1976). الحركة الصليبية.. صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي **في العصور الوسطى**. جزآن. الطبعة الثانية. القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية.

22) عاشور، سعيد. (1964). **أضواء على الحروب الصليبية**. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

23) عاشور، سعيد. (1963). **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار النهضة العربية.

24) عبـد العزيز، فتحي، وسـيد، أشرف صالح محمد. (2013). **دور الكنيسـة في مملكة بيت المقدس اللاتينية 1099- 1187م**. الكويت: دار ناشري.

25) عبد الوهاب، حسـن. (1997). **مقالات وبحـوث في التاريخ الاجتماعي للحـروب الصليبية**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

26) عطية، حسين. (2012). **تشريعات الصليبيين**. الطبعة الأولى. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

27) علي، علي السيد. (1986). **القدس في العهد المملوكي**. القاهرة: دار الفكر.

28) علي، علي السـيد. (1979). المجتمع المسـيحي في بلاد الشـام عصر الحروب الصليبية. رسـالة

ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة القاهرة.

29) مجـير الدين الحنبلي (ت 927هـ/ 1521م) أبو اليمن عبـد الرحمن بن مجير الدين. (2009). **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**. جزآن. عمان: منشورات وزارة الثقافة الأردنية.

30) مؤرخ مجهول. (1958). **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**. ترجمة: حسن حبشي. القاهرة: دار الفكر العربي.

31) مؤرخ مجهول. **رحلة إلى فلسطين والقدس ونابلس والخليل وما في بلاد الشام**. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 754.

32) الفيتري، يعقوب. (1998). **تاريخ بيت المقدس**. ترجمة: سعيد البيشاوي. عمان: دار الشروق.

33) كرد علي، محمد. (1925-1928). خطط الشام، (6) أجزاء في (3) مجلدات. دمشق: مكتبة النوري.

34) ماير، هانز. (1990). **تاريخ الحروب الصليبية**. ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم. ليبيا: مجمع الفاتح للجامعات.

35) مايـر، ل. أ. (1973). **الملابس المملوكية**. ترجمة: صالح الشـتي، القاهـرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

36) منصور، أسعد (1924). **تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة**. القاهرة: مطبعة الهلال.

37) Addison, G. (1842). The History of the Knights Templars. London.

38) Archer, C and Kingsford. (1914). The Crusades (The story of the latin kigdom of Jerusalem. London.

39) Benjamin, Z. Kedar. (1982). The Patriarch Eraclius, in Outremed. Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem "Jerusalem".

40) Besant, W. and Palmer, E. H. (1888). Jerusalem, The City of Herod and Saladin. London.

41) Benvenisti, Meron. (1976). The crusaders in the holy Land, Jerusalem.

42) Conder, C. R., The Latin Kingdom of Jerusalem. London 1897.

43) Eracles: Estoire d'Eracles Emperewr et de Conquest de la Terre d'oute-mer, ed. R. H. C. H. Occ. tomeII, Paris 1859.

44) Fulcher of Chartres. (1969). A History of the Expedition to Jerusalem, trans. by Frances Rita Ryan (Sister of St. Joseph), Edited with an introduction by Harold's Fink, konuville. U.S.A[1].

(1) ترجـم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان «**تاريخ الحملة إلى القدس**»، ترجمة زياد العسـلي، ط1، دار

45) Holmes,U.T. (1977), "Life Among the Europeans in Palestine, and Syria, in Thirteenth century", in Setton, K.M.(ed.) History of the Crusades, vol. IV, Madison. pp: 3-35.

46) Less, g. r. (1905). village life in Palestine. New York.

47) Mayer, H. E. (1982). Council of Nablus, Journal of Eccelesiastical History, XXXIII.. pp: 531-543.

48) Prescott. (1957). once to Sinai the further pilgrimage of Frir Felex Fabri. London.

49) Rey, E. J. (1883). Les Colonies Franques de Syrie, aua XIIme, et XIII Siecle. Paris.

50) Richard, J. (1979). The Latin Kingdom of Jerusalem. 2 vols, trans. from the original by Jeant Shirly ,Amsterdam.

51) William of Tyre. (1943). A history of deeds done Beyoned the sea, tr. By Babcock and krey, 2vols. Newyork.

الشروق، عمان 1990م. كما ترجمه قاسم عبده قاسم بعنوان: «**الاستيطان الصليبي في فلسطين**». الشروق، القاهرة. 2001 م.